كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الثاني

مقياس: السينما الناطقة

المحاضرة رقم 07 بعنوان:

" الأفلام الوثائقية التسجيلية في عصر السينما الناطقة"

يتعارض الفيلم الوثائقي التسجيلي مع الفيلم الروائي من حيث التعريف، فمن المألوف القول أن الخط الفاصل بينهما فرض نفسه منذ الأيام الأولى لوجود السينماتوغراف: فرع وثائقي مع أفلام الإخوة لوميير، وفرع خيالي أو روائي مع أفلام المخرج جورج ميليس، وبالتالي فقد تطور الفيلم الوثائقي التسجيلي تبعا لمعايير تقنية واقتصادية وجمالية وأيديولوجية، فهو يمد المشاهد بالمعلومات عن المصور بقدر ما يعلمه عما يصوره وبشكل غير مباشر، كما يعلمه أيضا إلى التوجه الذي ينتمي إليه.

لقد كان للأزمة الاقتصادية في فترة الثلاثينيات وقدوم الصوت المتزامن مع الصورة التأثير البالغ على ممارسات الفيلم التسجيلي، إذ نجد أن الجماليات الحديثة التي تميزت بها الأفلام التسجيلية في العشرينيات قد أفسحت الطريق للتأكيد على الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث تعتبر المسيرة العملية للمخرج الهولندي يورس إيفنز رمزا للتغيير، فقد بدأ في العشرينيات بصناعة أفلاما تسجيلية قصيرة ذات طابع جمالي، بعد أن تحولت أعماله إلى أعمال ملتزمة سياسيا مثل إخراجه لفيلم 'borinage' سنة 1933، الذي يهتم بالظروف المعيشة التي يعيشها عمال المناجم في بلجيكا، بينما

اعتبرت الأفلام التسجيلية في فترة الثلاثينيات أفلاما ذو طابع سياسي، وهذا في كل من دول أوروبا وفي اليابان، ثم أصبح هذا التوجه مرتبطا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث لعب الفيلم التسجيلي دورا دعائيا بين طرفي الصراع، سرعان ما وصل الفيلم التسجيلي في فترة الثلاثينيات والأربعينيات إلى الجماهير وأثر فيه لأغراض تتجاوز التسلية والفن.

لعل ما يميز ظهور الفيلم التسجيلي، اعتماده على أحد الأنواع الأكثر رواجا وهو 'فيلم الاستكشاف' و'فيلم الرحلة أو أفلام الرحلات' في فترة الثلاثينيات، فنجد فيلم المخرج 'مارك أليغريه' وفيله 'الرحلة إلى الكونغو' سنة 1927، وأشهر الأفلام عن ذلك أيضا فيلم 'مع بيرد في القطب الجنوبي' سنة 1930 وهذا يعنى برحلة الاكتشاف عن الحياة في القطب الجنوبي، كما أخرج كلا من 'مارتن وأوسا جونسون' فيلم congorilla سنة 1932، وهو فيلم يعنى في رحلة بحث عن مناظر بمنطقة الزائير (الكونجو) (تصوير أقزام الكونجو البلجيكية). كما أبدع المخرجيين في أفلام الرحلات، بإضافة عالم السياحة في الفيلم التسجيلي وهذا باكتشافه لعادات وتقاليد من المجتمع الافريقي، ضف إلى ذلك أخرج 'مارتن جونسون' فيلم 'المركبة الصفراء' سنة 1934، باعتباره فيلما دعائيا يهدف إلى تسليط الضوء على تكنولوجيا سيارة ستروين.

بينما يعد الفيلم الإثنوغرافي فيلما يعكس البعد الجمالي والفني للأفلام التسجيلية آنذاك، فقد ابتعد مخرجو هذا التوجه عن المحاضرة المصورة، ومنطلقين إلى الفيلم القصصي متزامن الصوت باعتباره النموذج الأصح والأصلي، نجد ذلك جليا في أعمال كلا من الأنثروبولوجيون 'كلود راسموسين وفردريك دالشايم' وفلمهما 'زواج بالو' سنة 1934 (تم تصويره في منطقة جرينلاند الشرقية مع استخدام حوار الإنويت)، كما أخرج المخرج الأمريكي 'روبرت فلاهرتي' فيلم 'إنسان آران' Man of aranسنة 1934، يشخص واقع الذي يعيش فيه سكان جزيرة آران قرب سواحل إيرلندا.

أما عن السينما السوفيتية فتمثلت من خلال نظريات المونتاج، وأعمال المخرجة 'إستير شوب' انطلاقا من المونتاج الشكلاني وعلى الأخص المونتاج الأيديولوجي، وفيلمها 'سقوط أسرة رومانوف' سنة 1927، إضافة إلى أعمال المخرج السوفياتي دزيقا فيرتوف وفيلمه 'الرجل والكاميرا'.

كما عني الفيلم القصير ذو الصبغة الوثائقية من خلال التجارب الطليعية في العشرينيات والثلاثينيات، باكتشاف المدن الكبيرة بأسلوب شاعري وممارسة رائجة، فقد أخرج 'تشارلز شيلر وبول

ستراند' في نيويورك فيلم Manhatta سنة 1921، وفيلم روتمان 'برلين سيمفونية مدينة عظيمة'، كما أخرج يورس إيفنز فيلم De Brug سنة 1928 من خلال تصويره العديد من أفلام سيمفونيات المدن.

بينما يؤسس للفيلم الوثائقي فرضيات أساسية يفترضها مشاهدو هذا الجنس السينمائي، وهي:

1.يجب ألا تكون الأحداث المصورة معدة لهذا الغرض، أي أن الأحداث يجب أن تحدث بشكل مستقل عن عملية تصويرها، على خلاف ذلك، في الأفلام الروائية تهيأ الأحداث بالتحديد من أجل تصويرها، لذلك فإن طبيعة الأحداث غير المعدة في الأفلام الوثائقية توحي أن هذه الأحداث لها وجود مستقل عن السينما وهذا ما يعطيها أصلتها.

2. تعتبر الأفلام الوثائقية تقليديا أنها أفلام غير روائيا، وبعبارة أخرى لا بد من تمييزها بحدة عن الأفلام الروائية، والعالم المصور في الفيلم الوثائقي حقيقي وليس خياليا.

3.يفترض في كثير من الأحيان أن صانع الفيلم الوثائقي لا يقوم سوى بمراقبة الأحداث الحقيقية وصنع سجل موضوعي لها.

كما تحدد خمس فئات (صيغ) لدراسة الأفلام الوثائقية التسجيلية، وهذا انطلاقا من:

1.الفيلم الوثائقي ذو الصيغة التفسيرية: وهو فيلم يقوم بالوصف والتثقيف، أو أن يقدم مقولة معينة، فمثلا قد يمتدح مجموعة من القيم الشائعة أو أسلوب حياة معين، وهذا النوع من الأفلام أكثر شيوعا في الأفلام التلفزيونية، حيث ينقل الصوت المضاف معلومات تجريدية، وتأثيرا جماليا للفيلم الوثائقي التفسيري، ومن ثم الإيحاء بالموضوعية وبنقل مباشر وشفاف لموضوع الفيلم، من رواد هذا الاتجاه: ألبرتو كفالكانتي، جون جريرسون، هاري وات، بازل رايت.

2.فيلم الوثائقي بصيغة المراقبة: وهو أن يسجل المخرج دون تطفل ما يفعله الناس حين لا يخاطبون آلة التصوير مخاطبة صريحة، كما لا يوجد في هذا النوع الوثائقي تعليق بصوت سلطوي مجهول المصدر، ولا عناوين ضمن الفيلم ولا مقابلات، فالتركيز يكون منصبا على تقديم شريحة من الحياة، أو عرض مباشر للأحداث المصورة، فمخرج هذا الفيلم يهدف إلى مجرد مراقبة الأحداث أثناء حدوثها. أما من ناحية الأسلوب الفني فيتعمد على استعمال اللقطات الطويلة زمنيا، ومن أهم الأعمال رواجا فيلم High school المدرسة الثانوية سنة 1968 للمخرج 'فريديريك وايز'، فهذا الفيلم لا توجد به أحداث درامية

وإنما يسجل أحداثا يومية، أحداث من فصول مختلفة أثناء الدراسة.

3. الفيلم الوثائقي ذو الصيغة التفاعلية: يجعل هذا النوع من الأفلام المخرج بارزا للعيان، فيتفاعل مع الناس ومع الأحداث التي يتم تصويرها، وقد يكون مخرج هذا النوع من الأفلام شخصا رئيسيا في الفيلم، ويوجه أسئلة للذين يجري المقابلات معهم مباشرة، ومن هنا يشارك كلا من المخرج والشخص الذي تجري معه المقابلة الحدث، فيستطيع المشاهد والجمهور أن يراهما يتفاعلان أحدهما مع الآخر، بينما قد يبقى صانع الفيلم أو المخرج خارج الشاشة ولا يمكن رأيته، فقد تسمع أسئلته وقد لا تسمع، من أعمال هذا النوع: أفلام المخرج الأمريكي مايكل مور Michael Moore .

4.الفيلم الوثائقي ذو الصيغة الانعكاسية: يركز هذا النوع من الأفلام على كيفية تصوير الأشخاص والأحداث، فتصبح خواص الفيلم وعملية صنعه هي موضع تركيز الانتباه الرئيسي، بينما يمضي الفيلم الوثائقي الانعكاسي أبعد جدا من الفيلم التفاعلي في جعل المشاهد يدرك ويعلم بجميع المراحل التي ينطوي عليها صنع الفيلم الوثائقي. وأشهر أمثلة على هذا النوع، فيلم 'الرجل والكاميرا' للمخرج السوفياتي دزيغا فيرتوف، فهذا الفيلم يعرض مشاهدا من الحياة اليومية التي تشكل في محصلتها يوم العمل، من وقت الاستقاظ من النوم، إلى الذهاب إلى العمل، إلى نشاطات وقت الفراغ، بينما يسعى فيرتوف إلى تحويل الأحداث إلى أساليب فيلمية معينة، فهو لا يعرض الحياة اليومية كما هي معروفة وإنما يعرضها انطلاقا من كيفية تصويرها أيضا.

5.الفيلم الوثائقي ذو الصيغة الأدائية: يعتمد هذا النوع من الأفلام على تصوير العالم تصويرا غير مباشر، لا تصوير العالم بالشكل نفسه على غرار الأنواع الوثائقية الأخرى، فهو يهدف إلى تقديم موضوعه بأسلوب ذاتي وتعبيري، ومحدد الأسلوب ومثير للعاطفة ومليء بالمشاعر. فمخرجو هذا النوع يسعون إلى اختبار المشاهد للأحداث والشعور بها، بدلا من الاكتفاء بمشاهتها عن بعد فقط، ومن أعمال هذا النوع أعمال المخرج الأمريكي إيرول موريس.

المكتبة البيبليوغرافية:

*ويليام جي كوستانزو: السينما العالمية من منظور الأنواع السينمائية.

*باري كيث جرانت، موسوعة السينما، تر :أحمد يوسف، ج1، ج2 ، ج3.

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1980/1895، ترجمة: إبراهيم قنديل.